العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

الصدقة التطوعية

وتأثيرها في المجتمع

تأليف

الشيخ حارث الداحي

قسم الشؤون الفكرية
شعبة الدراسات والنشرات
كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)
هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: الصدقة التطوعية وتأثيرها في المجتمع.
المؤلف: الشيخ حارث خالد حسين الداحي.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية/ شعبة الدراسات والنشرات.
التصميم: علاء سعيد الاسدي.
الاخراج الطباعي: محمد قاسم النصراوي.
التدقيق اللغوي: عمار كريم السلامي
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق: ٢٣٣٧ لعام ٢٠١٥م .
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر/ كربلاء المقدسة.
الطبعة: الاولى
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة.
ذو القعدة ١٤٣٦-آب ٢٠١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ
يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۞ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ
فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

صدق الله العلي العظيم

[سورة البقرة: ٢٧٠- ٢٧١]

المقدمة

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].من طبائع الإنسان المؤمن أن يتخلق بأخلاق أهل البيت عليهم السلام متمسكاً بنهجهم المبارك للوصول إلى الغاية الكبرى حيث رضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فهي السعادة الأبدية التي لا انقضاء لأمدها، فكل مؤمن من حسن تدبّره وتفكيره ان يتمسك بكتاب الله تعالى وعترة نبيه صلى الله عليه وآله، فهو النهج العظيم الذي حدده الله تبارك وتعالى لعباده مبيناً على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، فعلينا أن نتمسك به ليكون الوقاء من الضلالة لنهتدي إلى الصراط المستقيم والطريقة المثلى في العيش المورِّثة للسعادة والخير. ولن يكون ذلك متاحاً حتى يوسع الإنسان مداركه ويعي انه يعيش في مجتمع يفرض عليه واجبات والتزامات معينة، وعليه أن يحافظ ما استطاع على تماسك هذا المجتمع أمام بعض العلل التي قد تلوح في مسيرة الإنسان المعيشية.

وكل ما نراه من ظواهر الاعتلال في جسد الأمة وتردي الوضع

(١) سورة البقرة: ٢٧٤.

الاقتصادي لبعض الأفراد والجماعات في هذا المكان أو ذاك، إنما يتحمل الجزء الأكبر منه بنو البشر أنفسهم، فهو ناتج عن تقصيرهم في التعامل مع هذه المشاكل بتركهم التكافل فيما بينهم، وتعمّد البعض الأنانية وحب الذات الذي يزرعه الشيطان اللعين في النفوس المريضة، يقول تبارك وتعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]. وللتذكير بجانب مهم من جوانب هذا التكافل في مجتمعنا دوّنّا هذه السطور التي ذكرنا فيها ما تيسر لنا من كلام المولى تبارك وتعالى والأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام. لنتعرّف على كيفية إيجاد الدواء المفيد الذي يعالج مثل هذه العلل في المجتمع. وقد اخترنا (الصدقة المندوبة) دون المفروضة لتبيان أهميتها ومشروعيتها وما ورد في استحسانها وآدابها وما إلى ذلك. ونرجو من الله تبارك وتعالى أن يوفقنا وجميع المؤمنين بالسير على منهج الحق والفضيلة إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيد الخلق محمد وآله الطاهرين.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٨.

الصدقات المندوبة في القرآن الكريم

الفقر معضلة، و العديد من الناس يعاني حالة الفقر في مختلف المجتمعات وفي جميع الأزمنة، وهو مشكلة ترجع من جانب إلى عدم التوزيع العادل للثروة الذي نادت به الشريعة السماوية، الأمر الذي أدى إلى تقسيم بني البشر إلى فقير وأفقر وغني وأغنى، جياع ومترفين مع عدم مراعات مقاييس العدل فتوزع الثروة بنظم يسودها الظلم والانحياز إلى مجموعة دون أخرى ولا محل للفقراء من هذه القسمة.

أما القرآن المجيد فإنه يحترم الفقراء المؤمنين ويعظمهم و يعتبرهم الفئة الأَولى من المتخصصين بالمساعدة وخاصة من بذل أمواله في سبيل الدين و من أجل إعلاء كلمة الحق، قال تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيْلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُم لاَ يَسْئَلُونَ النَّاسَ إلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[1].

في تفسير الآية يقول الشيخ الطوسي رحمه الله: «والعامل في الفقراء

(١) سورة البقرة: ٢٧٣.

محذوف وتقديره النفقة للفقراء»[١]، أما معنى (أحصروا) جاء من الإحصار وهو: (منع النفس عن التصرف لمرض أو حاجة أو مخافة)[٢]. وذكر الشيخ الطوسي عن الإمام الباقر عليه السلام، أنّه قال: «**إنّ هذه الآية نزلت في أصحاب الصفّة**»[٣].

وتذكر رواية عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام يعرّف فيها أهل الصفة بقوله: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأتي أهل الصفة، وكانوا ضيفان رسول الله صلى الله عليه وآله، كانوا هاجروا من أهاليهم وأموالهم إلى المدينة، فأسكنهم رسول الله صلى الله عليه وآله صفة المسجد وهم أربعمائة رجل**»[٤].

ولقد تكررت الدعوة إلى الإنفاق في القرآن الكريم، فرسم خارطة طريق للمؤمنين في كيفية توجيه الصدقة في تفصيل واضح و بطريقة محببة للنفس، وذلك لتربية المجتمع الإسلامي على آداب التصدّق. ويبين القرآن الكريم ان الصدقات لها انعكاسات مهمة، إضافة إلى كونها عملاً نافعاً مربحاً لآخذيها ودافعيها على حد سواء. وبسبب هذا التبادل في المنافع يتحوّل المجتمع إلى أسرة يسودها التعاون والتكافل، والتوادد والتراحم، وترفع البشرية إلى مستوى كريم، المعطي فيه والآخذ على السواء.

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٢ / ٣٥٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) بحار الأنوار: ٢٢ / ٣١٠.

قال تعالى:﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ*الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] فإن كانت هناك نفوس شحيحة، فيلزم تربيتها على الخلق الإسلامي الذي يؤيد ثقافة التكافل الاجتماعي و إشاعة روح التعاون والمساندة بين أفراد المجتمع الإيماني، تكون فيه الصدقات والتبرعات للفقراء والمحتاجين، والقرآن يبيّن بوضوح أن هذه الأموال التي يُتصدّق بها مشروطة بعدم المنّ والرياء، ولا تستخدم من قبل الأغنياء لشراء الشهرة والتسلط على رقاب الناس، قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[2]. هذه الإيقاعات القوية، والإيحاءات المؤثرة في النفس، ترفع القضية من التعامل المادي الجامد الذي لا يمتلك روحية الإسلام الحنيف، إلى حالة روحية من التفاعل بين أفراد المجتمع في الاتجاه الصحيح من التزام

(١) سورة البقرة: ٢٦١-٢٦٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٣-٢٦٤.

بأخلاق الإسلام ومنها التصدّق التي رسمها القرآن الكريم بتوصيف رائع يكون مبعثا للاعتزاز بالدين والحالة الإيمانية للفرد المسلم الملتزم بأخلاقيات القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾[2].

(١) سورة البقرة: ٢٦٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٢.

صفات الموحدين والصدقة

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[1].

إن للمؤمنين عقيدة مفادها أن بذل أنفسهم وأموالهم هي وسيلة من وسائل التقرّب إلى الله تعالى، و هذا الاعتقاد يبيّن -وبصورة واضحة- أهمية موضوع الصدقة وكل ما يدخل تحت هذا المسمى من إنفاق في سبيل الله تعالى. وتربي هذه العطايا العبد المؤمن بأن يخلص لله في العبادة، فالذي يؤمن بالله يبيع نفسه وماله لخالقه للوصول إلى رضاه.

ومن المؤكد أن الأموال محببة لدى بني البشر، وأنها آلة تمتعهم ووسيلة عيشهم، وهي عماد حياتهم. حتى صارت الأموال هي السبب الأساسي لخوفهم من الموت وتشبثهم بالحياة، وهنا امتحن الله قلوب المؤمنين في بذل ما يحبونه من اجل إبعاد كل ما يشوب إخلاصهم في توحيدهم لله وحده، يقول تعالىﷻ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[2]. وقد ذم الله تبارك وتعالى الذين صار همهم جمع الأموال

(١) سورة التوبة: ١١١.

(٢) سورة يوسف: ١٠٦.

والانشغال بها عن أمور دينهم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[١]. وكذلك جاءت السنة النبوية المطهرة لتؤكد هذا المعنى فيما يروى في السنة النبوية الشريفة عند الفريقين: «**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم...**»[٢].

والطريق لتطهير النفس من هذه الرذائل هي الصدقات لتنقذ صاحبها من الانزلاق إلى حيث لا يحب، و حيث يصير العبد خائفاً من هذه الدنيا الفانية بدل من ان يوجه خوفه إلى جهته الصحيحة في الخوف من جبار السماوات والارضين. وحتى لا يخدش الحرص والبخل وحب الدنيا والمال توحيد العبد المؤمن، فعليه بذل الأموال- وان كانت محببة - في سبيل الله ليتخلص من مرض التشبث بهذه الدنيا ويوسع آفاقه العقدية، حيث ترى المؤمن الذي اعتاد الإنفاق وتوجيه الصدقات لمستحقيها قد اعتاد على شكر المنعم واعترافه من خلال هذا الشكر بوحدانية الخالق، قال تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[٣]. وان ما يملكه العبد هو في الحقيقة

(١) سورة التوبة: ٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ٧٠ / ٣٢٠، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٨ / ١٣٠، السنن الكبرى -البيهقي: ١٠ / ٢٤٥.

(٣) سورة لقمان: ٩٢.

ملك لله تعالى، فمن آمن بأن الله تعالى هو المالك الحقيقي لهذه الأموال وأن عباد الله مؤتمنون عليها، فلا تسمح لهم هذه الحقيقة حين رؤيتهم عبداً فقيراً إلّا وانتهزوا الفرصة لتبيان الشكر لله وصحة اعتقادهم عملياً بالبذل والعطاء، ولكي يستغني الفقير و السائل المحتاج من ان يسأل غير الله تعالى. وهذا هو الدرس العملي في التوحيد و معرفة الله وتفعيل هذه العقيدة الحقة.

الصدقات المندوبة في السنة النبوية المطهرة

بيّن الإسلام الحنيف أن الصدقات على أنواع وأصناف كثيرة، ويلاحظ أن النبي الأكرمﷺ حث على تنويع الصدقة وتسهيل العمل بها، وكذلك أن الكرم الإلهي يثيب على أعمال قد نراها سهلة وممكنة، واذا بحثنا جيداً فيها نجد انها تجعل الحياة اسلم وانقى والتعامل بها يهذب النفوس ويعلمها دروساً أخلاقية قد تعجز الكتب والمؤلفات عنها.

ومن هذه الروايات والنصوص -على سبيل المثال لا الحصر- ما روي عن رسول اللهﷺ، أنه قال لأبي ذر(رضوان الله عليه): «**يا أبا ذر الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة**»[1]، هذه الرواية تبين بشكل جلي أن مجرد الكلام الذي نقوله على مدار اليوم ممكن أن نجعل منه مادة تتحول إلى صدقات يثيب الله عليها، بمجرد أن يكون الكلام طيباً وفيه منفعة للناس، ومجرد خطوات من التي نخطوها بلا إحصاء قد تتحول إلى صدقات ايضاً بمجرد تحويل المسار الى مسجد أو مكان تقام فيه الصلاة.

(١) الوسائل: ٥ / ٢٣٣.

ويريد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أن نفعّل الصدقات يومياً سواء كانت مادية أم معنوية، فهي نظام دقيق لسير المجتمع نحو حالة أخلاقية تعمُّ جميع أفراد هذا المجتمع، روي عنه صلى الله عليه وآله قوله: «**إن على كل مسلم في كل يوم صدقة**، قيل: من يطيق ذلك ؟ قال صلى الله عليه وآله: **إماطتك الأذى عن الطريق صدقة، وإرشادك الرجل إلى الطريق صدقة، وعيادتك المريض صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، وردك السلام صدقة**»[١].

وهناك روايات ذكرها أهل بيت العصمة عليهم السلام عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله تفتح آفاقاً واسعة من تحصيل الثواب عن طريق الصدقات والإنفاق في سبيل الله تعالى، تشمل أبواب التعليم والتربية والثقافة والتعامل الأسري والاجتماعي بكل جزئيات هذه الأبواب ويتضح هذا بصورة جلية ما يرويه الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده ما أنفق الناس من نفقة أحب من قول الخير**»[٢]، فقول الخير مفهوم واسع يمكن أن يستثمره الفرد والمجموعة في كل اتجاه وفعل وعمل. وعلى كل حال إن هذا الخلق النبيل الذي أسسه رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام بنيت على أساسه المتين مدرسة أخلاقية كبرى، هدفها الفائدة العامة وصناعة مجتمع تسوده

(١) بحار الأنوار: ٧٢ / ٥٠.
(٢) الوسائل: ١٦ / ١٢٣.

الأخلاق الإسلامية السامية. والحقيقة أنها ليست منحاً مجانية، بل ان الله تعالى يثيب عليها أعظم مثوبة كما بين الرسول الكريم بقسمه «**والذي نفسي بيده**» وهذه بشرى لمن تمسّك بقول الخير.

أما بالنسبة إلى الأفعال، فعند المؤمنين مجال واسع وكبير من الأفعال التي تعد من الصدقات التي تصب ايضاً في مصلحة الفرد والمجتمع، ونستهل الكلام فيها بعمل تصدقّي مهم جداً ألا وهو سقاية الماء فقد ورد في الروايات الشريفة أن سقاية الماء من أفضل الأعمال، روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال: «**أفضل الصدقة إبراد كبد حرى**»[١] ومعنى كلمة (حرَّى) هو مؤنث حرَّان أي شديد العطش[٢]. وسقاية الماء عمل وردت فيه أخبار عديدة وروايات كثيرة لا يسع المجال لذكرها وهي مرتبطة بشكل أو آخر بذكرى عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام فقد استشهد الإمام ومن معه من ثلة خيرة طيبة وهم عطاشى، وشحت نفوس أعدائهم أن يشربوا ماءً، ولعل الله قد حرم جيش أعداء الدين من مثوبة إبراد تلك القلوب الحرى.

أما إذا اردنا أن نتعرّف على الأعمال التي تعد من الصدقات، فتكون معونة المحتاج للمعونة هي الضابطة التي يستدل بها على هذه الأعمال الخيّرة، ومساعدة المحتاج حالة طيبة تعبر عن سمو الفرد والمجتمع

(١) الكافي: ٤ / ٨٣.
(٢) لسان العرب: ٢ / ٨٢٧.

الذي تسوده روح التعاون، وتبيان هذا في ما روى الإمام الصادق عليه السلام عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عونك الضعيف من أفضل الصدقة**»[1].

هذه الأعمال والأقوال التي يكافئ عليها الله تعالى ليست مجرد أعمال وأقوال، بل هي جزء من النظام الاجتماعي الذي رسم الإسلام الحنيف حدوده، ليعيش الأنسان بكرامة ويتعامل بتعامل أخلاقي تسوده روح التعاون والمحبة بين أفراد المجتمع.

(١) الكافي: ٥ / ٨٣.

الأبرار مثلٌ أعلى

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1].

القرآن الكريم يمجد أولئك الذين آثروا المسكين واليتيم و الأسير على أنفسهم، وقدّموا له ما يملكون من مؤونة وقوت يومهم بعد جهد الصيام ولعدة أيام، فيقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾ وهذه الآية المباركة طبقاً لروايات معروفة نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، إذ كانوا صائمين وأعطوا إفطارهم لمسكين مرّة وليتيم أخرى، ولأسير ثالثة.وتفصيل ما حدث يرويه ابن عباس في سبب نزول الآية المباركة قال: «إن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن ؟ لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة عليها السلام وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي عليه السلام ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة عليها السلام صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله

(١) سورة الإنسان: ٨.

من موائد الجنة. فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن والحسين عليهما السلام وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أبصرهم وهم يرتعشون من شدة الجوع قال: **ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم**، وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة عليها السلام في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها، فساءه ذلك فنزل جبريل وقال: **خذها يا محمد، هنأك الله في أهل بيتك**، فأقرأه السورة»[١].

وذكر صاحب الغدير[٢] رحمه الله أنّ الرّواية المذكورة قد نقلت عن طريق أربعة وثلاثين عالماً من علماء أهل السنّة المشهورين على هذا[٣]، فإنّ الرّواية مشهورة عند السنة واتفق علماء الشيعة على أنّ السورة أو ثماني عشرة آية من السورة قد نزلت في حق علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وان الرواية في تفسير الآيات المباركات بحقهم عليهم السلام متواترة عند المسلمين.

فنقول أن قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ**﴾. يبيّن انه لم يكن مجرّد إطعام، بل إطعام مقرون بإيثار وتقديم الآخر على النفس عند

(١) الغدير: ٣/ ١١١.
(٢) العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني قدس سره.
(٣) الغدير: ٣/ ١١١.

الحاجة الماسّة للغذاء، ومن جهة أُخرى فهو إطعام في دائرة واسعة حيث يشمل أصناف المحتاجين من المساكين واليتامى والأسرى، والظاهر أن الآية الكريمة تريد أن تبين من تعدد نوع السائل ليبين انهم عليهم السلام يؤثرون أي محتاج على انفسهم، ولهذا كانت رحمتهم عامّة وخدمتهم واسعة.

وذُكِرت أقوال في أن الضمير (الهاء) في ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ هل يعود إلى (الله تعالى) أي يطعمون الطعام على حب الله. أو يعود على ﴿الطَّعَامَ﴾ أي أنّهم أعطوا الطعام مع احتياجهم له، ويفسر هذا الفعل منهم عليهم السلام ما ورد في الآية من سورة آل عمران: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1].

وكلا المعنيين عظيم، وهذا الدرس العظيم في الإيثار يعلمنا أن ما يدفع الإنسان من صدقات يقابله الله بالأجر العظيم والمنزلة الرفيعة التي لا تدانيها منزلة.

---

(١) سورة آل عمران: ٩٢.

بين الفقير و المتصدّق

الفقير في الاصطلاح هو من ليس له القدرة والاستطاعة المالية على الانفاق على نفسه وعلى من يعيله بشكل يسد الحاجات الأساسية للحياة كالمأكل والمسكن وغيرها، وفي الشريعة الفقير (من قصر ماله عن نفقة نفسه وعياله)[١] وقد يسمى الفقير مسكيناً في بعض النصوص، و بعبارة أخرى (الفقير و المسكين كلاهما من لا يملك مؤونة سنته اللائقة بحاله له ولعياله، والمسكين أسوأ حالاً من الأول كمن لا يملك قوته اليومي، والغني بخلافهما)[٢]، وعلى كل حال يتفاوت مستوى الفقر بين فقير وآخر، والعرف الاجتماعي هو الحاكم في هذا التصنيف بين حقبة زمنية وأخرى أو بين مجتمع وآخر .

وقد قدمنا الكلام في مستحقي الصدقة والان نريد تبيان ما يجب على الفقير المؤمن ان يعرفه عن أسباب كونه فقيراً مع كده وبذل الجهد ومع ذلك يعاني من قلة الموارد.

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ

(١) مصباح الفقيه – آقا رضا الهمداني: ١٣ / ٥٥٤.
(٢) منهاج الصالحين لسماحة السيد السيستاني (دام ظله): ١ / ٣٠٩.

الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[١] .

وتتكلم الآية الكريمة عن الاختبارات التي يُمتحن بها العبد ليتفاضل عن باقي العباد بدرجات الصبر على ما ابتلى الله عز وجل المؤمنين ببعض الابتلاءات، وكما عبّر القرآن الكريم بشيء من الفقر والجوع ونقص الأموال وغيرها من البلايا، فالمؤمنون الصابرون هم الذين يستطيعون أن يخرجوا منتصرين من هذه الامتحانات، وان ذكر مسألة الصبر على البلاء من مظاهر الاختبار الإلهي، و لمّا كان الانتصار في هذه الاختبارات، فربما ابتلي الانسان المؤمن بأنواع المصيبات ومنها الفقر والفاقة، وهي من العلامات الجيدة اذا فهمها المؤمن بان فيها قربة الى الله تعالى لاسيما اذا فهم الفقر بانه اختبار للوصول الى المراتب التي رغب بها الصالحون المقتدون بالنبي الأكرمﷺ الذي يقول: «**الفقر فخري وبه أفتخر**»[٢] أي انه من مراتب امتحان المؤمنين الصابرين، ولا يقال ان بعض اهل الفسوق ايضاً فقراء فتشملهم دائرة ابتلاء المؤمنين، لان هناك ضابطة مهمة تفصل بين المؤمن الفقير عن غيره، فقال تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾[٣]، ففقرهم لكونهم ابتعدوا عن

(١) سورة البقرة:١٥٥.
(٢) بحار الأنوار: ٦٩ / ٣٠.
(٣) سورة البقرة: ٢٧٣.

المحرمات ولم يسدّوا احتياجاتهم المادية عن طريق ارتكاب المعاصي، ولا يتحقق فقر المؤمن إلّا في ظل الثبات والمقاومة، فقالت الآية الكريمة بعد ذلك وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، والفقر بهذا المعنى هو الذي نريد بيانه هنا.

والآية الكريمة التالية تعرّف وتبين لنا معنى الصابرين والبشرى التي وُعِدوا بها، فقال تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[1]، وهذا الاسترجاع هو في الحقيقة اعتراف وإقرار تام بالعبودية والخضوع لله تبارك وتعالى، وهذه الكلمات النيّرة المباركة تعلّمنا وتعطينا درساً في التصبّر على البلاء، رجاء المثوبة على هذا الصبر جزاء من الله عز و جل، وهي مواساة للفقير المؤمن فلا يصاب الانسان المؤمن الفقير بالحزن على شحة المال وقلة ذات اليد، ولا يقال بعد ذلك ان جميع المشاكل الحياتية سببها الفقر والعوز؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو مالك الملك وان جميع ما لدينا من قدرات مالية واقتصادية وعقلية وفكرية وغيرها، هي منحة منه سبحانه وتعالى إن شاء منحنا إيّاها، وإن استوجبت المصلحة يسلبها عنّا وهو بكل شيء عليم.

وهنا يأتي دور الأغنياء الذين هم عكس الفقراء، وهم افراد المجتمع الإيماني ممن لديهم أموال تكفي مؤونتهم، فضلاً عن الذين لديهم أموال تكفي احتياجاتهم المعاشية و زيادة على ذلك.

(١) سورة البقرة:١٥٧.

والحقيقة ان هذه الأموال كلها هبة من الله تبارك وتعالى، و في الأصل ان هذا المال يعود في ملكه الحقيقي لله عز و جل فالبشر لهم صلاحية استخدام هذه الأموال، قال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[١] وحتى بعد حصول العبد على المال فله حق التصرف والملكية الاعتبارية وإلّا في الحقيقة هو مال الله تعالى انعم به على عباده، يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾[٢] .

فهو مال الله عز وجل ومن ملك المال هو الذي يتصرف به حسب المصلحة، والإيمان بان الانسان مأمور بحسن التصرف في هذه الأموال يمنحه دافعاً للتصرف بسخاء وكرم في موضوع التصدّق .

ولذ أمر الله الانسان المؤمن بإعطاء الفقير جزءاً من هذا المال الذي استودعه عند عبده الغني، قال تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾[٣]، فلستم مالكي هذا المال ولن تملكوه حقيقة، بل ان الله تعالى قد استخلفكم على هذه الأموال لتنتفعوا منها كباقي النعم التي انعم الله تعالى بها على عباده، وأُمر الانسان بالإنفاق على غيره كما ينفق على نفسه

(١) سورة آل عمران: ٢٦.
(٢) سورة النور: ٣٣.
(٣) سورة الحديد: ٧.

والأمر تارة على نحو الوجوب وأخرى على نحو الاستحباب، وهذا ما نحن بصدد عرضه في هذا البحث، وهنا يتجلى العدل الإلهي وتتضح صفات الكريم الرؤوف بعباده الضعفاء سبحانه تبارك وتعالى.

افضل الفقراء

قد قدر الله تعالى أن تتفاوت الحالة المادية والمالية بين العباد، كل بقدره ولأسباب الله تعالى بها أعلم، يقول تبارك من قائل: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾[1]. وجعل الله تبارك وتعالى منزلة عالية للفقير اذا كان صابراً متعففاً. ومع تعدد أسباب الفقر ومع ازدياد متطلبات الحياة قد تجعل الإنسان في حالة من عدم الارتياح والحزن لكونه فقيراً، فعليه من جهة أن يعمل ويكافح من أجل تحسين وضعه المعاشي ومن جهة أخرى أن يحتسب الله تعالى ويصبر على فقره ولا يبتئس؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعيش معيشة الفقراء بل يفتخر بكونه من هذه الطبقة، ويكفي الفقير تسلية قول البشير النذير صلى الله عليه وآله: «**الفقر فخري وبه أفتخر**»[2].

ولا يشتبه على القارئ العزيز تعارض مضامين الأخبار الواردة عن المعصومين عليهم السلام في ذم الفقر وقبول ومدح الفقر؛ فلأن بعض المعصومين كانوا في حال من قلة ذات اليد الذي فرضته عليهم أسباب

(١) سورة الشورى: ٢٧.
(٢) بحار الانوار: ٣٩ / ٣٠.

كثيرة، مثل مواساتهم للفقراء من الأمة، وكذلك بسبب الظلم الذي وقع عليهم عليهم السلام من الكفار أو من السلطات الجائرة ومنعهم من التصرف بأموالهم، وغيرها من الأسباب.

ومع ذلك كانوا عليهم السلام راضين قانعين صابرين بما قسم الله تعالى لهم، ويكدّون بأيديهم الشريفة لتحصيل أرزاق عيالهم وكل ما يأتيهم من أموال كانوا ينفقونها على فقراء الأمة و مصالحها ولا يدخرون لأنفسهم شيئاً، بل أكثر من ذلك فقد امتحنهم الله تعالى بالجوع وقلة الأموال، وكانوا صابرين زاهدين لا يبغون غير وجه الله تعالى معرضين عن الدنيا ولذاتها الفانية، فيروى عن سويد بن غفلة، قال: «دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فوجدته جالساً وبين يديه إناء فيه لبن، أجد ريح حموضته، وفي يده رغيف، أرى قشار الشعير في وجهه، وهو يكسر بيده، ويطرحه فيه، فقال عليه السلام: **أدن فأصب من طعامنا،** فقلت: اني صائم، فقال عليه السلام: **سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من منعه الصيام من طعام يشتهيه كان حقاً على الله ان يطعمه من طعام الجنة، ويسقيه من شرابها،** قال: قلت لفضة، وهي قريبة منه قائمة: ويحك يا فضة! ألا تتقين الله في هذا الشيخ بنخل هذا الطعام من النخالة التي فيه؟ قالت: قد تقدم إلينا ان لا ننخل له طعاماً، قال عليه السلام: **ما قلت لها؟** فأخبرته، فقال عليه السلام: **بأبي وأمي من لم ينخل له طعام، ولم يشبع من خبز**

البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله -يعني رسول الله صلى الله عليه وآله-»[١].

وهذه المواساة من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ومن خليفته أمير المؤمنين عليه السلام خير مواساة لأشد الناس فقراً وحاجة. وكان الأئمة عليهم السلام يلبسون الخشن من الملبس ويأكلون الزهيد من الطعام، ويؤثرون الفقراء على انفسهم؛ فكانوا عليهم السلام المثل الأعلى للإيثار والتضحية الذي يوجب على الجميع الاقتداء بمنهجهم والسعي لإعمار المجتمع الذي ينتمون له، وان يساعدوا المحتاج من فقراء المؤمنين الذين استحقوا الصدقات وسائر الحقوق الشرعية، وإكرامهم كي يندمجوا بالمجتمع وتصلح الحياة.

(١) وسائل الشيعة: ٢٤ / ٣٨٩.

لماذا نتصدّق؟

ان شكر نعمة الله تبارك وتعالى واجـب على العبد المؤمن، والصدقات مصداق واضح للتعبير عن شكر الله سبحانه وتعالى، فهو إقرار واعتراف من العبد المؤمن بأن مالك كل شيء حقيقة هو الله عزّ وجل، فهي سبب في نيل مرضاة الله تبارك وتعالى واحـترام وتقدير الناس، فالإنفاق يجعل لصاحبه مكانة اجتماعية مرموقة، حيث إن التصدّق يؤدي الى تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع عبر مواساة الفقراء والمحتاجين من المؤمنين وسد حاجة المعوزين كإسهام من المتصدق في حل مشكلة الفقر المتجذرة في الكثير من المجتمعات .

و مما لا يخفى ان الإنفاق في سبيل الله تعالى سبب بركة المال ونمائه ووقاية للإنسان من المصائب والبلايا، كذلك هي النتائج التي ترتجى من التصدق، ففيها معاني إشاعة التراحم والتواد بين افراد المجتمع بدلاً من الشحناء والبغضاء، والتصدق يدعم الروابط الأسرية ويقوي الصلات بين أفراد المجتمع، كون التصدق له القابلية على تزكية النفس وتطهيرها بإخراج الشح والبخل منها، بل يربي صاحب الصدقة على الخلق الحميد والتفاعل مع مشاكل الناس والتطوع في المشاركة لحلها

عبر المساهمة المالية.

وقد فضل الله ﷻ الإنسان المؤمن بأن هداه للإيمان، وأرشده لطريق الحق المستقيم، ومن افضل النعم التي مَنَّ بها الله على خلقه هي إرسال خير رسله محمد بن عبد الله ﷺ وحصّن أمته بأفضل الأوصياء أئمة الورى علي والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ولده عليهم السلام وشرّف المسلمين بخير كتاب ﴿**هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾[1] ومَنَّ علينا بالاهتداء إلى شريعته، فله الحمد عز وجل، وله الفضل والمنة.

ولقد ابتلى الله الناس وجعل هذه الابتلاءات المائز المبيّن درجات القرب من الله، قال تعالى: ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[2]، فابتلى الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام وكذلك يبتلي الله المؤمن ليتفاضل مع باقي المؤمنين، ومن الابتلاءات التي تصيب الإنسان هي قلة الموارد المالية، قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾[3]، فثبت أن الدنيا دار امتحان واختبار، فعلى المؤمن ان يغتنم الوقت ويستثمر

(١) سورة البقرة: ١٨٥.
(٢) سورة الأنعام:١٦٥.
(٣) سورة البقرة:١٥٥.

مواسم الخير والرخاء والعافية لكي يزيد من رصيده الذي ينفعه ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[١]، فقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ناصحاً لابي ذر(رضوان الله تعالى عليه): «**يا أبا ذر، اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[٢]، فإن المسلم الذي يقر بالمعاد لن ينفعه في آخرته إلا ما كان قد قدمه من أعمال صالحة التي فعلها إخلاصاً لله تعالى و ابتغاء رضوانه.

فالصدقة الخالصة لوجه الله عز وجل هي الذخيرة الباقية التي تدوم منفعتها فالإنفاق والتصدّق في سبيل الله تجارة لا تبور ولا تكسد ولا خسارة فيها، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم من شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾[٣]، وسواء كان إخراجها سرًّا أو علانية ففي كل حال تكون للمنفق رحمة ونعيماً في الآخرة ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لن تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم من فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾[٤]، فطوبى للأسخياء.. وطوبى للكرماء الذين لا يبخلون بما آتاهم الله من فضله، فالمنفق المتصدّق بماله قريب من الله

(١) سورة الشعراء: ٨٨-٨٩.
(٢) الوسائل: ١ / ١٤.
(٣) سورة سبأ: ٣٩.
(٤) سورة فاطر: ٢٩-٣٠.

و من رحمته، فالإنفاق من كمال الإيمان وحسن الإسلام وسعادة المؤمن تتحقق في طاعة الله ورسوله واتباع خطى أهل البيت عليهم السلام، فالصدقة دليل حسن الظن بالله والثقة به وقد أفاض الله تعالى على خلقه بالنعم التي لا تحصى، فله الحمد على ما أنعم.

في آداب الصدقة

كل إنسان مؤمن يحاول قدر المستطاع ان يعيش حياة كريمة بمستوى معيشي يكفل له ولأسرته متطلبات الحياة وقد يطمح إلى خزين للأيام اللاحقة وهذا ما جرى عليه عرف الإنسانية، وبالتالي يؤمِّن المجتمع احتياجاته عبر دورة اقتصادية معروفة. وهناك بعض العوائق التي تقف في طريق سلاسة انتقال المال بين أفراد المجتمع ولأسباب كثيرة ولعل أبرزها سوء إدارة المال أو اعتماد نظام اقتصادي دنيوي كما هو الحال في اغلب أرجاء العالم المعاصر مما أدى إلى تفقير شريحة واسعة من المجتمع وحرمانهم العيش المرفّه.

فهناك الفقراء على اختلاف مستوياتهم وهنالك الأغنياء -بما يقابل الفقراء- بمستويات متفاوتة أيضا. والإسلام الحنيف ميّز بين هذه الطبقات على أساس الواجبات والتكاليف وليس على أساس طبقي مهين للفقراء كما هو متعارف في المجتمعات التي تسودها الجاهلية والطبقية البغيضة على مر العصور.

ونرى الكثير من الروايات المادحة للفقر الذّامة للغنى من جانب والعكس كذلك، وسبب هذا الاختلاف هو توجيه النظر إلى ما يجب

على الفقير وما يجب على الغني من حسن التصرف بالأموال سواء قلت أم كثرت. نعم على الإنسان السعي لتحسين وضعه المعاشي والابتعاد عن مسببات الفقر بالسعي ونبذ الكسل والتدبير وعدم الإسراف وغيرها من التصرفات الخاطئة التي تسبب ضياع الأموال.

و قد يكون سبب الفقر ممدوحا من قبل الشريعة بأن من أصابه الفقر بتقدير من الله تعالى كابتلاءات، كما ورد في بعض الأخبار حدوثه على بعض الأنبياء عليهم السلام؛ أو بذل جميع أو بعض الأموال في سبيل الله تعالى، فقد ورد أن الإمام الحسن عليه السلام أخرج من أمواله عدة مرات وقاسمها عدة مرات وكذلك عن باقي الأئمة عليهم السلام كانوا يتصدقون بكل ما عندهم من مال.

وهذه المعادلة الصعبة يتفهمها المؤمنون من عباد الله فلا يعتبرونه إفقاراً وضياعاً للأموال، بل يعتبرونه غنى وهذا ما يبينه قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**الفقر فقران فقر الدنيا وفقر الآخرة، فقر الدنيا غنى الآخرة، وغنى الدنيا فقر الآخرة، وذلك هلاك**»[1].

وقد تتدنى الحالة الاقتصادية للفرد أو مجموعة من الأفراد في المجتمع إلى حد يجب فيه العلاج. ولدفع هذا الخطر علينا بالتكافل الاجتماعي كدواء ناجع لحالة الفقر، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**البر**

(١) بحار الأنوار: ٦٩ / ٤٧.

والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان سبعين ميتة السوء»[١]

وان تنمية هذا التكافل وتفعيله ينقل المجتمع من حالة الفقر التي تصيب مجموعة من أفراده إلى حالة جديدة وجيدة من المعيشة يبارك بها الله تعالى، بقوله: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ والله يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[٢] .

ولإقامة قواعد النظام الاقتصادي الاجتماعي الذي يريد الإسلام أن تُفَعّل من قبل الفرد و المجتمع المؤمن، وأن تصبح نظام الحياة الاقتصادية للمجتمع الإيماني، كنظام التكافل والتعاون الممثل في الصدقات المندوبة التي هي محل بحثنا. ومكافحة النظم المالية الخبيثة كالنظام الربوي، الذي كان سائداً في الجاهلية أو حالياً في مجتمعات خالية من الروح الإيمانية؛ ولو أمعنّا النظر في آيات القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة أهل البيت عليهم السلام لوجدناها تتحدث عن مدارس أخلاقية واقتصادية واجتماعية وتربوية تكون بمجموعها واقعاً مميزاً تسوده روح المحبة والوئام والتكافل بين أبناء المجتمع الإنساني. فتكون في مجموعها جانباً أساسياً في تأسيس النظام الاقتصادي الإسلامي والحياة الاجتماعية في التعامل مع جميع طبقات المجتمع الإيماني.

(١) الوسائل: ٩ / ٥٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٦١.

والإنفاق في سبيل الله ودفع الصدقات يكفل حماية المؤمنين، ويدفع الشر والفساد والطغيان، ويجرد النفوس الضعيفة من استغلال الفقراء.

أفضل الصدقات

ذكرت النصوص الشرعية أن أفضل الصدقات هي التي تعطى للفقراء من الأقارب والأرحام فهم أَولى من غيرهم في الإنفاق ومنهم من يكون واجب النفقة ومنهم من يستحب الإنفاق عليهم ومساعدتهم مادياً، قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[١].

ومن أهم أبواب الإنفاق الصدقات المندوبة، فقد ورد في رواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد سُئل أي الصدقة أفضل؟ فقال صلى الله عليه وآله: «**على ذي الرحم الكاشح**»[٢]، والكاشح: «الذي يضمر لك العداوة»[٣]؛ وتبيّن هذه الرواية مدى أهمية صلة الأرحام بالأموال والإنفاق على الفقراء منهم حتى إذا كنت تعلم انه يضمر لك العداء، فمن جانب ستكون هذه الصدقة بادرة طيبة لإزالة الكره والبغضاء، ومن جانب آخر تنمي

(١) سورة البقرة: ٢١٥.
(٢) الكافي: ٤ / ١٣.
(٣) مجمع البحرين: ٢ / ٢٩٦.

الأواصر بين الأقارب والأرحام، فضلاً عن المساهمة في رفد المجتمع بحالة من تكريس روح المسامحة والتكافل، وهذه الحالة الطيبة لها تأثير مباشر على تماسك المجتمع وتعمّق صلة الفرد بالمجتمع. وقد حثت الروايات الشريفة على هذا النوع من الإنفاق، فعن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام، قال: «... **يا علي، صلة الرحم تزيد في العمر، يا علي، لا صدقة وذو رحم محتاج...**»[1]، فصلة الأرحام من اهم واجبات الفرد المؤمن، وهي فعل مقدم وذو أولوية على الكثير من الواجبات؛ يروى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قوله: «**الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر، وصلة الإخوان بعشرين وصلة الرحم بأربعة وعشرين**»[2] وليس الجمع بين كل هذه بمستصعب على أهل الإيمان. وقد بيّن الإمام الباقر عليه السلام حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، بقوله عليه السلام: «**من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته ويواري عورته ويفرج كربته....**»[3] ولعل من الواضح ان أفضل من يستحق الصدقة من الأرحام أضعفهم ففي رواية يرويها صاحب الجعفريات عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله انه قال لسراقة بن مالك بن خثعم: «**يا سراقة بن مالك ألا أدلك على أفضل صدقة**، قال: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: **أفضل الصدقة على أختك أو ابنتك وهي مردودة عليك**

(١) الوسائل: ٩ / ٣٨٤.
(٢) الكافي: ٤ / ١٣.
(٣) الوسائل: ١٢ / ٢٠٤.

ليس لها كاسب غيرك»[١]. ومن هذه الحقيقة التي عرفناها عن النبي الأكرمﷺ وآل بيته المعصومينعليهم السلام يتبين انه يستحب استحباباً مؤكداً ان يوسع المؤمن على عياله في معيشتهم بل هي أفضل الصدقات ويقدّمون على غيرهم.

(١) الجعفريات محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي: ١ / ٥٢.

مستحقو الصدقة (الفقير والمسكين)

بعد ان تعرفنا على آداب الصدقة، ومن هم أولى الناس بالصدقة علينا ان نتعرف على مصطلح الفقراء والمساكين الذين أشارت اليهم الآية الكريمة ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

ولسنا هنا بمعرض تفصيل الزكاة والصدقات الواجبة فقد التزمنا من أول البحث -كما اشرنا بالمقدمة -ان يكون كلامنا بالصدقات المندوبة إنما نريد هنا فقط معرفة من هو الفقير ومن هو المسكين فنذكر بعض ما روي في من هو المسكين وماهية الفقير ؟

يروي الشيخ الكليني في الكافي عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**﴾، قال عليه السلام: «**الفقير الذي لا يسأل الناس، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم فكل ما فرض الله عز وجل عليك فإعلانه أفضل من إسراره وكل ما كان تطوعا فإسراره أفضل من إعلانه ولو أن رجلا يحمل زكاة ماله على**

(١) سورة التوبة: ٦٠.

عاتقه فقسمها علانية كان ذلك حسنا جميلا»[1].

ودلّ القرآن الكريم على هذا المعنى الذي ذكرته الرواية، بأن الفقراء هم الذين لا يسألون الناس، قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿**لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾[2]. و تدل الآية الكريمة على الفقير من النوع الذي يعاني من حاجة مالية في حياته ومعاشه مع أنّه يعمل ويكتسب، لكنّه لا يسأل أحداً مطلقاً رغم حاجته لعفته وعزّة نفسه، وهذا لا يمنع أن يكون بعض الفقراء يستعطي ويطلب من الناس أن يتصدقوا عليه، وهناك روايات وأخبار كثيرة تدل على أن الناس كانوا يستعطون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام حوائجهم، لسد الديون وغيرها من الاحتياجات الضرورية للناس.

أمّا (المسكين) فهو الذي تكون حاجته أشد من الفقير، مثل العاجز عن العمل، و المضطر لأنّ يستعطي الناس ويسألهم. ويذكر أنّ الأصل اللغوي لكلمة مسكين مأخوذ من مادة السكون؛ لأنّ المسكين لشدة فقره كأنّه سكن وأخلد إلى الأرض. ففي رواية رواها ثقة الإسلام الكليني رحمه الله عن الإمام الصادق أو الإمام الباقر عليهما السلام، أنّ محمد بن مسلم سأل الإمام عن الفقير والمسكين فقال عليه السلام: «**الفقير الذي لا**

(١) الكافي: ٣ / ٦٠٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٣.

يسأل، والمسكين الذي هو أجهد منه الذي يسأل»[١].

وجاء لفظ (مسكين ومساكين ومسكنة) في القرآن الكريم، وغالباً ما ارتبط بالإطعام، مما يدعو للربط بين التصدق بالإطعام سواء كانت هذه الصدقات إجبارية مثل بعض الكفارات ككفارة (إفطار يوم من شهر رمضان مخيرة بين عتق رقبة، وصوم شهرين متتابعين، وإطعام ستين مسكيناً، لكل مسكين مد وهو يساوي ثلاثة أرباع الكيلو تقريبا، وكفارة إفطار قضاء شهر رمضان – بعد الزوال – إطعام عشرة مساكين، لكل مسكين مد، فان لم يتمكن صام ثلاثة أيام، وكفارة إفطار الصوم المنذور المعين كفارة يمين، وهي عتق رقبة، أو إطعام عشرة مساكين، لكل واحد مد، أو كسوة عشرة مساكين، فان عجز صام ثلاثة أيام..)[٢] أو الصدقات التطوعية التي نحن بصددها.

وقد فسر بعض المفسرين كلمة مسكنة (بالجوع)[٣]، في قوله تعالى: ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ**﴾[٤]. ولهذا الترابط بين المساكين والحاجة إلى الطعام نرى العديد من الآيات القرآنية تؤنب الذين لا يقدمون الطعام

---

(١) الكافي: ٢/ ٦٠٣.

(٢) منهاج الصالحين –السيد الخوئي (قدس سره): مسألة ١٠٠٧، منهاج الصالحين – السيد السيستاني (دام ظله): مسألة ١٠١٦.

(٣) تفسير القمي: ٧/ ١٦.

(٤) سورة آل عمران: ١١٢.

إلى فئة المساكين، يقول عزّ من قائل: ﴿**وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾[١] وقوله تعالى: ﴿**وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾[٣]، وكلها جاءت في صفات الكفّار، ومن اعترض على الحكم الإلهي.

وبعد هذه المقدمة، تبيّن للجميع أن الإسلام الحنيف حث على الاهتمام بهؤلاء الضعفاء المساكين أيّما اهتمام، وقد حثت كلمات المعصومين عليهم السلام على طلب الدعاء حين إعطاء السائل الصدقة لا سيما المسكين منهم؛ يروى ان الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «**ما من رجل تصدق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء تلك الساعة إلا استجيب له**»[٤].

يروى عنه عليه السلام كان يهتم كثيراً بالمساكين، و إذا جاء سائل على بابه كان يأمر الخادم أن يعطي السائل وان يطلب الخادم من السائل أن يدعو للأمام، فكان يقول للخادم: «**أمسك قليلاً حتى يدعو**»[٥]. وهو عليه السلام القائل: «**دعوة السائل الفقير لا ترد**»[٦].

(١) سورة الحاقة: ٣٤، سورة الماعون: ٣.
(٢) سورة المدثر: ٤٤.
(٣) سورة الفجر: ١٨.
(٤) وسائل الشيعة: ٩ / ٤٢٤.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.

الصدقة تدفع البلاء والأمراض

الصدقة تدفع الكثير من البلايا، وقد دلت الروايات على الكثير من هذه المعاني في ما تدفعه الصدقات المندوبة، وما يجنيه العبد المؤمن من خير من هذا العمل المحبب. ففي ما تدفعه من ابتلاء الإنسان يوم القيامة رواية يرويها الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله، انه قال: «**تصدقوا ولو بصاع من تمر ولو ببعض صاع ولو بقبضة ولو ببعض قبضة ولو بتمرة ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة لينة، فإن أحدكم لاق الله فقائل له: ألم أفعل بك؟ ألم أجعلك سميعا بصيرا؟ ألم أجعل لك مالا وولدا؟ فيقول: بلى، فيقول الله تبارك وتعالى: فانظر ماقدمت لنفسك، قال: فينظر قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يجد شيئا يقي به وجهه من النار**»[1].

أما في دفعها بلاء الدنيا ففي ذلك وردت أحاديث عديدة في مواضيع مختلفة من دفع البلاء وشفاء الأمراض وزيادة الرزق وإطالة الأعمار وغيرها من الفوائد لا حصر لها نذكر بعض الأحاديث الشريفة في هذا المجال: فقد روي عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد

(١) الكافي: ٤ / ٣.

الله الصادق عليه السلام يقول: «**الصدقة باليد تقي ميتة السوء، وتدفع سبعين نوعا من أنواع البلاء، وتفك عن لحيي سبعين شيطانا كلهم يأمره أن لا تفعل**»[١].

وروى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي: «عن محمد بن عمر بن زيد قال: أخبرت أبا الحسن الرضا عليه السلام اني أصبت بابنين وبقي لي بني الصغير، فقال عليه السلام: **تصدق عنه، فإن كل شيء يراد به وجه الله وان قل بعد ان تصدق النية فيه عظيم ان الله عز وجل يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ۞وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾**[٢]، **وقال: ﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ۞وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ۞فَكُّ رَقَبَةٍ۞أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ۞يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ۞أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾**[٣]، **علم الله عز وجل أن كل أحد لا يقدر على فك رقبة فجعل إطعام اليتيم والمسكين مثل ذلك تصدق عنه**»[٤].

ولعل انتشار الأمراض من أكثر المشاكل التي تشغل الفكر في هذه العصور لكثرتها وتنوعها وعجز الطب عن علاج الكثير من الأمراض التي قد تصل إلى حد أن تكون أوبئة تنتشر بين بني البشر كالنار في الهشيم وتفتك بهم، وتشير الدراسات الحديثة الى أرقام ونسب مخيفة

---

(١) وسائل الشيعة: ٩ / ٣٧٦.
(٢) سورة الزلزلة: ٧-٨.
(٣) سورة البلد: ١١-١٦.
(٤) الكافي: ٤ / ٣.

من انتشار الأمراض المزمنة، ومنها مجتمعنا الذي نرى الكثير من الناس قد أبتلي بمثل هذه الأمراض وهي في الحقيقة من اشد الابتلاءات التي تصيب الإنسان. وقد جاءت النصوص من أهل البيت عليهم السلام تبشر بـدواء شافٍ للأمراض، ألا وهو التصدّق على الفقراء. فينقل عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أن رجلا شكا إليه: «أنني في عشر نفر من العيال كلهم مرضى، فقال له الإمام الكاظم عليه السلام: **داووهم بالصدقة، فليس شيء أسرع إجابة من الصدقة، ولا أجدى منفعة على المريض من الصدقة**»[١]. وينقل صاحب نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام، قوله: «**الصدقة دواء منجح**»[٢]. والمؤمن إذا أراد الاستشفاء من علة يبحث عن دوائه الروحي قبل البدني فتجده يتوجه بالدعاء والاستغفار والتصدق، فتعينه على مرضه وسقمه ويتقبل الله تعالى منه هذه الأعمال الطيبة فيشفيه من علّته؛ فيروي ثقة الإسلام الكليني رحمه الله عن عبد الله ابن سنان، قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا البلاء بالدعاء واستنزلوا الرزق بالصدقة فإنها تفك من بين لحى سبعمائة شيطان وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن وهي تقع في يد الرب تبارك وتعالى قبل أن تقع في يد العبد**»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ٥٩ / ٢٦٥.

(٢) نهج البلاغة – شرح محمد عبده: ٤ / ١.

(٣) الكافي: ٤ / ١.

يروي صاحب الكافي رحمه الله عن محمد بن مسلم، أنه قال: «كنت مع أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فسقطت شرفة من شرف المسجد فوقعت على رجل فلم تضره وأصابت رجله، فقال أبو جعفر عليه السلام: **سلوه أي شيء عمل اليوم**، فسألوه، فقال: خرجت وفي كمي تمر فمررت بسائل فتصدقت عليه بتمرة، فقال أبو جعفر عليه السلام: **بها دفع الله عنك**»[1].

وهنالك العديد من الأحاديث الشريفة عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وعن العترة المطهرة عليهم السلام في هذا الباب. فحينما يتقبّل الله من المتصدق، يتنعم برضا ورحمته تبارك و تعالى، و في الروايات السابقة تتبين أهمية الصدقة على الصعيد الشخصي لكل فرد من المجتمع باعتبارها دافعة لأنواع كثيرة من البلاء، وكذلك على المستوى الجمعي كونها في النتيجة لها انعكاسات طيبة على المجتمع.

(١) الكافي: ٤ / ٩.

فضل صدقة السرّ وتأثيرها في الفرد و المجتمع

قال تعالى: ﴿**إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[1].

والتصدّق سرّاً له جانب يتعلّق بالمتصدّق، وهو أن لا يشوب الرياء عمله، وله جانب يتعلّق بالفقراء الذين يحتاجون هذه الصدقات وهو حفظ كرامتهم أمام الناس.

ففي وصية من الإمام الصادق عليه السلام إلى عبد الله بن جندب[2] قال فيها: «**لا تتصدّق على أعين الناس ليزكّوك، فإنّك إن فعلت ذلك فقد استوفيت أجرك، ولكن إذا أعطيت بيمينك فلا تطلع عليها شمالك، فإنّ الذي تتصدّق له سرّاً يجزيك علانية على رؤوس الأشهاد في اليوم الذي لا يضرك أن لا يطلع الناس على صدقتك**»[3]. وتوضح الرواية أن الصدقة السريّة مفيدة من عدة جوانب، منها حفظ ماء وجه الفقير

(١) سورة البقرة: ٢٧١.

(٢) رجال الطوسي: ٥٣١٦- عبد الله بن جندب البجلي الكوفي، ثقة.

(٣) تحف العقول: ١/ ٣٠٥.

وعدم التشهير به فلا يُعد من المتسولين، بل هذا النوع من الصدقة يعتبر من الوسائل الناجحة للحد من ظاهرة التسوّل؛ حيث تحفظ كرامة الفقير فلا يضطر الى مد يده للناس، وفائدة أخرى في تهذيب نفس المتصدّق فلا يدخل الرياء والتفاخر في نفسه حين إعطائه للصدقة. ومن الفوائد التي يجنيها المتصدق سراً التصدق قدر استطاعته فلا يُحرج إذا كانت قليلة، أو يحرِج المتصدق الآخر بصدقة أقل منه إذا كانت كثيرة.

وأمّا في فضل صدقة السر فقد ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقة السر تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى**». وقد بينت الروايات الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام أن الله تبارك وتعالى يفضل صدقة السر على غيرها من أنواع الصدقة، فعن الإمام الصادق عليه السلام، انه قال: «**الصدقة والله في السرّ أفضل من الصدقة في العلانيّة، وكذلك والله العبادة في السرّ أفضل منها في العلانية**»[1].

وقد دلت الروايات على ان الائمة من أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) فعّلوا هذا العمل الإنساني الرائع بأكمل ما يمكن ان يتصوره المؤمن في هذا المجال. فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام يصف الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: «**أن علي بن الحسين عليهما السلام كان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره وفيه الصرر من الدنانير والدراهم، وربما حمل على ظهره الطعام أو الحطب، حتى يأتي باباً باباً**

(١) الكافي: ٤/ ٩.

فيقرعه ثم يناول من يخرج إليه، وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه، فلما توفي فقدوا ذلك فعلموا أنه كان علي بن الحسين عليهما السلام، ولما وضع على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الابل مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين، ولقد خرج ذات يوم وعليه مطرف خز فتعرض له سائل فتعلق بالمطرف فمضى وتركه، وكان يشتري الخز في الشتاء فإذا جاء الصيف باعه وتصدق بثمنه»[1].

وروي أنّ أناساً من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معاشهم، فلمّا استشهد الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كانوا يأتيهم بالليل من رزق.

ولا يتوقف هذا العمل على الإمام زين العابدين عليه السلام فحسب، فقد جاءتنا الأخبار الكثيرة تؤكد أن الأئمة عليهم السلام كانوا يتصدقون بهذه الطريقة، فقد ورد عن هشام بن سالم[2]، انه قال: «كان أبو عبد الله الصادق عليه السلام إذا اعتم وذهب من الليل شطره أخذ جراباً فيه خبز ولحم والدراهم فحمله على عنقه، ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فيقسمه فيهم وهم لا يعرفونه، فلما مضى أبو عبد الله عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا أنه كان الإمام الصادق عليه السلام»[3].

(١) وسائل الشيعة: ٩ / ٣٩٧.

(٢) رجال النجاشي: ١١٦٥- هشام بن سالم الجواليقي روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، ثقة ثقة.

(٣) وسائل الشيعة: ٩ / ٣٩٧.

فإذا أمعنا النظر جيداً في الروايات والأخبار في هذا الباب نجد أن لصدقة السر تأثيراً مهماً و إيجابياً في حالة التكافل الاجتماعي؛ ولاسيما في زمن تكون فيه الظروف استثنائية كما في زمن الأئمة عليهم السلام، ومع ما كان من تشديد وتضييق على الأئمة عليهم السلام ومراقبة عيون السلطة لموارد أهل البيت المالية، مع ذلك كان للأئمة عليهم السلام إصرار على رفد الفقراء المؤمنين بما يحتاجون اليه من نفقة ومن مؤونة، فلا ينفرط عقد المجتمع بسبب الفقر والحاجة.

الصدقة المندوبة في الفقه الإمامي

يقول تبارك و تعالى في القرآن الكريم: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[1]. والبر هو فعل الخير، أو التوسع في فعل الخير، وذكر بعض المفسرين انه الجنة، وغيرها من التفاسير، وكلها تعطي معنى الخير الذي يصيب الإنسان إذا أنفق في سبيل الله تعالى مما يحب، وهذا المعنى تطرقنا إليه في بحثنا سابقاً، ونلاحظ من خلال هذه الآية تجلي روعة البيان حيث سدت الطرق للوصول إلى (البرِّ) إلّا إذا جعل المنفق جميع عواطفه تستشعر حاجة أخيه المؤمن الفقير، فيندمج تفكير المنفق الغني بحاجة الفقير، وهذه هي الوحدة التي تبتغيها الشريعة من تشريع الصدقات، فالصدقات تجعل من أفراد المجتمع صفاً واحداً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وبهذا النوع من الاندماج بين الطرفين المنفق من جهة والفقير المحتاج من جهة أخرى، تسود روح التعاون والتكافل في المجتمع الإيماني.

فينظر الغني إلى الفقير نظرة الأخ إلى أخيه فيحب له ما يحبه لنفسه، وكذلك الفقير ينظر إلى الغني نظر المنعم إليه فينتظر الفرصة ليرد الجميل

(١) سورة آل عمران: ٩٢.

إليه. مع شرط أساسي، ألا وهو الإيمان من الطرفين.

وتدخّل الشارع المقدس في عملية التصدق فوضع قوانين لضبطها ورسم الطريق الصحيح لطرفي القضية. منها ما روى الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابيه تهذيب الأحكام والاستبصار، والشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه من لا يحضره الفقيه، والشيخ الكليني رحمه الله في كتابه الكافي رواية صحيحة عن زرارة رضي الله عنه عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث يبين للناس كيفية نشوء الصدقات المندوبة، بقوله عليه السلام: «**إنما الصدقة محدثة، إنما كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ينحلون ويهبون، ولا ينبغي لمن أعطى لله شيئا أن يرجع فيه، قال** عليه السلام: **وما لم يعط لله وفي الله فإنه يرجع فيه نحلة كانت أو هبة حيزت أو لم تحز**»[1].

وقد اشترط الفقهاء شروطاً ملزمة للمتصدق عليه أن يراعيها، فقد ذكروا (جزاهم الله خيراً) تفاصيل كثيرة في ما يجب فيها و أقسامها وأنواعها وما يستحب منها وما يكره..، والحقيقة كل هذه القواعد والشروط تصب في مصلحة الفرد المسلم وكذلك في مصلحة المجتمع الإسلامي.

فقد بوب الفقهاء في عصور ماضية الفقه إلى أبواب تسهل على مريد المعرفة الوصول إلى مقصده بسهوله فجعلوا الصدقة المندوبة في

---

(١) وسائل الشيعة: ١٩ / ٢٣١.

باب الهبات، وعرّفوها بانها عقد على مال بغير عوض، واشترطوا في صحتها شروطاً، منها: الإيجاب والقبول، والقبض بإذن المتصدق، وإقباض الصدقة للفقير، ولا بد فيها من نية القربة، وان تكون نية القربة فيها خالصة لله تعالى، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام، قوله: «**لا صدقه ولا عتق إلا ما أريد به وجه الله تعالى**»[1].

ولا يصح الرجوع فيها بعد القبض لرحم كانت أو لأجنبي، فقد روى محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث قال: «**ولا يرجع في الصدقة إذا ابتغى وجه الله**»[2].

(١) تهذيب الأحكام: ٩ / ١٣٩.
(٢) وسائل الشيعة: ١٩ / ٢٣١.

المستحب في الصدقات

ان لنظام الصدقة المندوبة قدرة على تنظيم و موازنة الحياة الاقتصادية والاجتماعية للفقراء والأغنياء على حد سواء، والمجتمعات الإيمانية إذا ما فُعّلت من قبل جميع أفراد هذا المجتمع كلٌ بقدر استطاعته والعمل بشكل جمعي تنتظم الحياة الاقتصادية للفرد والمجتمع.

فنلاحظ ان روايات أهل البيت عليهم السلام تحث على هذه الروح التعاونية، و أوردنا فيما سبق من البحث عدداً من هذه الروايات، ونحن في هذا القسم نكمل ما يستحب في موضوع الصدقة وكيفية دفعها ولمن يستحب أن تعطى الأولوية في الاستفادة منها، و ما يكره في بعض الجوانب الأخرى بصورة إجمالية:

منها ما بيّنه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**يستحب للمريض أن يعطي السائل بيده، ويأمر السائل أن يدعو له**»[1]، و أن يتصدق الأب عن الولد ويستحب إعطاء الصدقة بيد الولد لكي يعطيها بيد السائل، ويستحب التبكير بالصدقة، اي يعطيها في أول اليوم عند الصباح وتفيد المتصدق لدفع البلاء عنه وتفيد الفقير أن يكون لديه ما يعينه في أول

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦٦.

اليوم.

وكذلك يستحب التصدق في الليل، ويكره رد السائل ولاسيما ليلاً، وهنا ايضا تؤدي الصدقة دورها الاجتماعي التكافلي المهم حيث يبدأ اليوم و ينتهي بمساهمة المتصدق في تقوية المجتمع بسد حاجة الفقراء.

وليبدأ من له قدرة على إعطاء الصدقات بعياله فيوسع عليهم في المعيشة ويجعل ما يزيد صدقة لباقي الفقراء، ولا بأس أن تكون من الأقرب فالأقرب؛ لأن التوسعة على العيال من أعظم الصدقات، فيروى عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، انه قال: «**أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله**»[1].

ويستحب ايضاً التوكل عن المتصدق في إيصال الصدقات لمستحقيها والعمل الخيري في جمع وتوزيع الصدقات من الأعمال التي فيها اجر عظيم وفائدة كبيرة؛ روي عن الإمام الصادق عليه السلام، انه قال: «**لو جرى المعروف على ثمانين كفا لأُجروا كلهم فيه من غير أن ينقص صاحبه من أجره شيئا**»[2] الوكيل في الصدقة أحد المتصدقين ولو تعدد. وأفضل الصدقة الإيثار.

---

(١) الكافي: ٤ / ١٤.

(٢) الكافي: ٤ / ١٤.

يقول الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[١]، لهذا يستحب الصدقة بالمحبوب من الأموال.

و عد من أفضل الصدقات الضيافة، ومساعدة الضعيف، لما روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عونك الضعيف من أفضل الصدقة**»[٢]. كذلك سقي الماء، لما روي عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «**أفضل الصدقة إبراد كبد حرى**»[٣]. والكلمة اللينة الطيبة تعد من الصدقات، و تستحب الصدقة عن الوالدين و الرحم والعلماء والأموات، و ومن المروءة انتظار المدين المعسر، والإهداء إلى الإخوان والبدء بالصدقة قبل السؤال، وتعجيلها وسترها، ويجب شكر المنعم بها.

وهناك من النصوص في المستحبات في الصدقة ما لا مجال لذكره لكثرتها، نستخلص منها ان أهل البيت عليهم السلام يحثّون و بصورة مكثّفة على تفعيل كل أنواع العمل الإنساني الذي فيه الخير والسعادة لبني البشر ومن أهم مصاديق هذا العمل الإنساني هو الصدقات المندوبة.

ومن جانب آخر، يكره المَنّ بالصدقة، وإن هذا المَنّ يبطل أجرها

(١) سورة آل عمران: ٩٢.
(٢) وسائل الشيعة: ١٥ / ١٤١.
(٣) وسائل الشيعة: ٩ / ٤٧٢.

يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ**﴾[١]، وشبه القرآن الكريم فعل من يعطي الصدقة ويمُنّ على الفقراء بالمرائي الذي يكون عمله من جهة محرماً، ومن جهة أخرى باطلاً. ويكره من الفقير إظهار الحاجة والشكوى من الفقر بمسألة الناس والتسوّل، أما اذا أضطر إلى المسألة فلا كراهة. والسؤال لغير الله فيه ذل، ويروي لنا الإمام جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام، وصية النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**يا علي، لئن ادخل يدي في فم التنين[٢] إلى المرفق أحب إلّي من أن أسأل من لم يكن ثم كان**»[٣].

فوردت الأخبار والروايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، أن من مدَّ يده واستعطى الناس و فتح باب المسألة على نفسه، فتح الله عليه باب فقر وذل، روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**من سأل من غير حاجة اضطر إلى السؤال من حاجة**»[٤].

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٢) التنين كسكين وهي حية عظيمة.

(٣) وسائل الشيعة: ٩ / ٤٤٠.

(٤) وسائل الشيعة: ٦ / ٣٠٥.

الخاتمة

نختم البحث بما ورد عن سيد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام مما نقل من نهج البلاغة: «**إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما مُتّع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك**»[1].

فإن الدافع الأساسي من تشريع الصدقات المندوبة هو ترسيخ روح التكافل و التعاون الأخوي في المجتمع الإيماني وكذلك مساعدة طبقة الفقراء والمحتاجين؛ لتداول القدرات المالية بين بني المجتمع الواحد، فينتفع منها جميع أفراد المجتمع.

فإذا تعاون المجتمع وفَعَّل هذه الوظيفة المهمة بالتكافل ومساندة أحدنا للآخر، يندفع خطر انحطاط المجتمع وتهاويه، كون الروحية التي يتعامل بها المتصدق مع موضوع الصدقة التطوعية فيها رضا الله تعالى، وحرص المتصدق على المجتمع دواء لعلاج الظواهر السلبية التي قد تصيب هذا المجتمع سواء كان بمستوى العائلة أو الوطن أو الأمة، فتكافح الظواهر السلبية مثل تفشي الفقر و انتشار التسول والسرقة والبطالة وغيرها من الظواهر المؤذية للمجتمع.

(١) نهج البلاغة –محمد عبده: ٤ / ٣٨٢.

فعلينا أيها الأحبة تهيئة النفوس والقدرات التي منحنا إياها الله تعالى، للإسهام برفد الطبقات التي هي بحاجة ماسة للمساعدة مادياً أو عاطفياً أو معنوياً، وبأي شكل كان من أشكال التكافل. والثقل الأكبر يقع على عاتق الأخوة الشباب الذين هم السند الذي يتكئ عليه المجتمع، وهم ذخيرة المستقبل التي بها أمل الخير والعطاء. والمؤمنون على مر العصور كانوا أهلاً لهذه الأعمال الخيرة.

ونرجو من الله تعالى أن يوفق جميع الأخوة المؤمنين لعمل الخير والاقتداء بسيرة رسول الله وآله البررة (صلوات الله وسلامه عليهم)، وان يسدد أهل الإيمان لما يحب ويرضى، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

بحار الأنوار – العلامة محمد باقر المجلسي .

التبيان في تفسير القرآن – الشيخ الطوسي.

تفسير القمي – علي بن ابراهيم القمي.

تهذيب الأحكام – الشيخ الطوسي.

الجعفريات – محمد بن الأشعث الكوفي.

رجال الطوسي– الشيخ الطوسي .

رجال النجاشي– الشيخ النجاشي .

الكافي – الشيخ الكليني .

وسائل الشيعة– الحر العاملي .

لسان العرب – ابن منظور.

مجمع البحرين – الطريحي.

مصباح الفقيه– آقا رضا الهمداني.

من لا يحضره الفقهيه– الشيخ الصدوق.

منهاج الصالحين – السيد الخوئي قدس سره.

منهاج الصالحين- السيد السيستاني (دام ظله).
نهج البلاغة – شرح محمد عبده.
موسوعة الغدير – العلامة عبد الحسين الأميني.

المحتويات

المقدمة	٥
الصدقات المندوبة في القرآن الكريم	٧
صفات الموحدين والصدقة	١١
الصدقات المندوبة في السنة النبوية المطهرة	١٤
الأبرار مثلٌ أعلى	١٨
بين الفقير و المتصدّق	٢١
افضل الفقراء	٢٦
لماذا نتصدّق؟	٢٩
في آداب الصدقة	٣٣
أفضل الصدقات	٣٧
مستحقو الصدقة (الفقير والمسكين)	٤٠
الصدقة تدفع البلاء والأمراض	٤٤

فضل صدقة السرّ وتأثيرها في الفرد و المجتمع ٤٨
الصدقة المندوبة في الفقه الإمامي ٥٢
المستحب في الصدقات ٥٥
الخاتمة ٥٩
قائمة المصادر ٦١